الانسان العربى ونمط الحياة فى المجتمع المغربى

بحث نظرى وميدانى استطلاعى لقطاع من الشباب المتعلم بمدينة فاس

دكتور / أحمد النكلاوى ❊

مدخل : فى هدف البحث وهيكله

يتشكل أى عمل علمى من موضوعيتين : موضرعية الهدف ، وموضوعية الطريقة ، منهما يأتلف الخلق العلمى وإليهما يسعى الجهد الموضوعى الجاد . وإذا كانت موضوعية الهدف تقاس بمدى قربه أو بعده من الواقع الفعلى . فان موضوعية الطريقة إنما تقاس بمدى توفر كل من وضوح الرؤية والدقة معا . ويتبلور النجاح والفشل فى البذل العلمى فى محاولة تحقيق هذه المقاييس وتجسيدها واقعا تتآلف حوله المواقف وتتوحد .

وإذا كان تحويل هذه المقاييس إلى تجسيد واقعى تآلفت حوله المواقف فى البحث الطبيعى ممكنا ومحققا لدرجة تقارب الاطلاق ، فان ما ينبغى توكيده — دون إخفاء أو مواربة — هو أن تحقيق هذه المقاييس فى ميدان البحث الاجتماعى لم يزل فى طور المحاولة للاقتراب من هذا الائتلاف وأن تحقق بدرجة محدودة فى بعض القضايا التى تجلت فيها المعالجة الرياضية على وجه الخصوص .

(❊) مدرس علم الاجتماع — كلية الاداب — جامعة القاهرة .

وإذا كانت هناك ضمانات تكفل للبحث فى الإنسان القدرة على بلوغ حلة الائتلاف حول قضاياه الحيوية العامة ، فان منظور التكامل والبعد عن التشيعات الضيقة للاتجاهات خير ضمان يدعو إليه علم الاجتماع المعاصر ، ويستند منظور التكامل إلى دعائم ثلاث : —

أولا : الأخذ بتعددية المتغيرات وتداخلها .
ثانياً : تحقيق درجة من التوازن النسبى بين هذه المتغيرات .
ثالثاً : وضوح البعد الكمى والكيفى فى المعالجة ليتوفر هدفا الوضوح والدقة فى العمل .

فى ضوء هذا المنظور يأتى هدف البحث ليتناول الإنسان فى واقعه الاجتماعى العربى لا على تشخيصى ، إنما كاسهام فى التعرف على المدخل والطريق إليه مطبقين فى ذلك الرؤية السسيولوجية كما تتجلى فى إحدى نظريات علم الاجتماع الحضرى المسيطرة ، ومستفيدين فى نفس الوقت من روافد ما يمكن تسميته باسم علم إجتماع العالم العربى وعلم إجتماع التنمية لما يتضمنه كل منهما من تراث إن ارتبط فلا يرتبط إلا به ..

هيكل البحث : —

ويتكون هيكل هذا البحث من مجموعة من العناصر تسهم فى بنائها المنطقى المتعاقب فى تحقيق الغاية النهائية منها وتتبلور هذه العناصر على النحو التالى — :

العنصر الأول : ويناقش الإنسان ككائن حضارى .
العنصر الثانى : يتناول التصور السسيولوجى للإنسان ونظريته الحضرية كنمط للحياة .

العنصر الثالث : يركز على مشكل الإنسان العربى ومشخصاته من خلال دراسة استطلاعية ميدانية أجريت على عينة من الشباب الجامعى بجامعة محمد بن عبد الله فى مدينة فاس .

العنصر الرابع : فتبرز فيه رؤية مقترحة .

وفيما يلى استعراض هذه العناصر كل على حده : —

أولا : الإنسان ككائن حضرى : —

إذا كان الإنسان فى تاريخه الطويل لم يعرف إجماعا على قضية من القضايا التى طرحها منذ أن وجد على سطح هذا الكوكب حتى اليوم ، فان قضية واحدة استطاع أن يجمع عليها فقط هى قضية صنعه الحضارى . فقد عبر الإنسان عن إبداعه بخلقه الحضارى ، كما جعل فى نفس الوقت من خلقه الحضارى خير برهان على إبداعه البشرى . ومن ثم عرف تاريخ الإنسان بأنه سجال خاضه بالعقل الذى يميزه عن سائر المخلوقات الأخرى ولقد جاء فى محكم الآيات « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » (١) .

ويكاد يجمع علماء التاريخ البشرى على أن عمر الإنسان يكاد يكون هو عمر هذا الكوكب الذى يعيش عليه أو يكاد (٢) ، عمر يشخصه الصراع والخلق الحضارى . ورغم ذلك فقد توقف التاريخ أمام الإنسان فى حقبات عديدة . وقفة إجلال أمام الرواد العظماء من الرجال الذين غيروا وجه تاريخ البشرية فظلت آثارهم تتردد بين جنباته حتى اليوم حتى لقد قيل إن جد ان التاريخ لم تعد سوى بصماته التى خلفها وراءه .. (٣)

---

(١) سورة التين آية (٤) .

(٢) جو دن تشايلد — ماذا حدث فى التاريخ ترجمه جورج حداد — الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع — القاهرة ، ١٩٥٦ صفحة « ى » .

(٣) ولاس بروكوى : عندما دخلوا التاريخ (مترجم) دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ ص ١٣ .

وقد حاول البعض أن يسبر غور عظمة الإنسان الحضارية فذهب فريق إلى القول إن ما أسبغ على البشر عظمتهم الخاصة هو بحثهم عن حقيقة أنفسهم وعن علاقتهم بالكون . ويضاف إلى ذلك ما قد قاموا به من محاولات لإبراز صور الحقيقة فى أشكال تسر عقل الناظر إليها وحواسه (١) .

ولقد بلور فريق آخر ومن بينهم انجلز ما ذهب إليه هذا الفريق وعبر عنه فى كلمة موجزة هى الإنتاج الذى يتميز به الإنسان عن الحيوان مما جعله يتفوق على الطبيعة بكل ما فيها . وإذا كان لنا أن نتوقف أمام الإنتاج فاننا نريد أن نؤكد أن الإنسان لو كان قد توقف عند حد إنتاج الأشياء فحسب لما استطاع أن يسير على الدرب الطويل البطىء المؤدى بنا إلى الترقى من مستوى الإنسان إلى مستوى الإنسانية أى مستوى صنع الحضارة (٢) .

هذا وقد اتجه فريق ثالث إلى التأكيد على البعد الجماعى للإنسان واعتبر البعد الحضارى هو الوجه الآخر للإنسان؛ فالإنسان انتصر على غيره من الكائنات لأنه لا يوجد إنسان فرد بل إنسان جماعى حضارى يظهر من خلاله الإنسان الفرد فى الظروف المواتية (٣) .

بناء على ما تقدم يعد الإنسان هو الحضاره والحضاره هى الإنسان .. تشتمل على مقدراته وأعماله وكل منتجاته التنظيمية وايديولوجياته وأفكاره العينية وابداعه الفنى لهذا لا يوجد مجتمع بشرى بدون حضارة مهما كانت درجة بدائيته . وقد جعل هذا المعنى توما الاكوينى « يرى الإنسان الحضارى

---

(١) جون نيف — الأسس الثقافية للحضارة الصناعية . ترجمة محمود زايد ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ ص ٦٧ .

(٢) زكريا إبراهيم ، مشكلات فلسفية ، مشكلة الحياة — مكتبة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧١ ، صفحات ١٤ ، ١٨ .

(٣) محمود رياض « الإنسان دراسة فى النوع والحضارة » دار النهضة العربية — بيروت ١٩٧٢ ص ٤٠ .

على أنه عقل ويد ، والمعروف أن وظيفة العقل التفكير ووظيفة اليد الفعل أو العمل ، وبالتفكير والعمل تكونت له معرفة مباشرة عرفت بأنها الحضارة » (١) .

لهذه المتغيرات جاء الإنسان محورا للفلسفات المعاصرة جميعها،ولقد تجلى ذلك مثلا عند كارل ماركس ودون الخوض فيما لكارل ماركس أو ما عليه ، فإننا لو نفذنا صميم تفكيره لوجدناه بحثا مستفيضا ونظرية متكاملة تتناول دراسة العلاقة بين فاعلية الإنسان وآثاره فثمة علاقة مزدوجة بين الإنسان وما ينشأ عنه من أعمال : إنه يخلق ذاته فى هذه الأعمال .. والإنسان قبل كل شيء فى النظرية الماركسية كائن ذو حاجة والحاجة هى علاقة معقدة تربط الإنسان بالطبيعة عن طريق العمل ، ولا يعتبر الإنسان اجتماعيا إلا عندما يستشعر البشر مجتمعين الحاجة إلى العقل الفعال (٢) .

وإذا كان كارل ماركس قد أكد على أنه من المستحيل تصور الإنسان خارج نطاق شبكة كبيرة مضروبة من العلاقات الإجتماعية فلابد من إدراك أن الإنسان فيما ينشئه من علاقات إنما يقع كما يؤكد رجال الفلسفة بين ماض وحاضر ومستقبل معا لهذا يتواجد القلق والصراع كما لا كيفا وعلى الكم تتوقف درجة الحدة وبروز المشكلة (٣) .

وإذا كان القلق والصراع علامة من علامات الاعتلال النفسى عند علماء النفس فانه من المؤكد اليوم أن القلق ليس مظهرا من مظاهر هذا العصر فحسب . فالحياة الإنسانية لم تنقطع عن الانفعال إلا فى فترات ركدت

---

(١) عز الدين إسماعيل، الفن والإنسان ، دار القلم – بيروت ١٩٧٤ ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) هنرى لوفيفر – ماركس وعلم الاجتماع – ترجمة بدر الدين قاسم الرفاعى – وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧١ ، ص ٩ – ١٠ – ٢١ – ٤١ – ٤٤ .

(٣) زكريا إبراهيم ، مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر ، القاهرة، غير مبين سنة الطبع ص ١٦ .

فيها الحياة وهى فترات غفى فيها الزمان فلم يسر ولم ينطق . لهذا كان القلق هو المحرك القوى فى حياة الإنسانية وفى أجمل أيامها وأزهى عصورها (١) .

العنصر الثانى : التصور السسيولوجى للإنسان ونظرية الحضرية — كنمط للحياة : —

وغنى عن البيان أن الاتجاهات التى مجدت الإنسان ووقفت أمام مشيئته وعظمت من شأنه وجدت أمامها اتجاهات أخرى مناهضة لها تأخذ من نتاج عظمته وإبداعه لتدينه وتصوره على أنه كائن خلق الظلم فى رواء اطلق عليه المدنية أو الحضاره . ولعل أبلغ تعبير هو إن الإنسان فى وجوده الحضارى ما قاله جان جاك روسو : « ان أول إنسان وضع يده على قطعه من الأرض وقال إن هذه الأرض ملكى هو أول من خلق الظلم والآثام للإنسانية ..

ولقد كان التراث الذى خلفه الإنسان وراءه ليتحدث عنه هو الوعاء الذى أخذ منه الدارسون مادتهم عنه — وأهم ما يمكن استنباطه من التراث الزاخر عن الإنسان أن التصورات قد اختلفت بصدده : فعلى حين أن أصحاب النزعة الإنسانية يؤكدون تفرد الإنسان وتنوعه وتغيره الدائم نجد أن أنصار التحليل النفسى لا يؤكدون على الطبيعة المتغيرة للإنسان ويسلمون بأن هناك موجهات أساسية للسلوك تمنح الإنسان أولوية على المجتمع . أما هوتر فأنه يرى على نقيض ما يرى « فرويد » أن الدوافع الاجتماعية هى التى تحكم سلوك الإنسان ، فالإنسان يسعى إلى تحقيق الأمان لنفسه ولجماعته ومن أجل ذلك يحاول جمع المال وامتلاك مقاليد القوة والسيطرة .

---

(١) عبد الكريم غلاب ، نبضات فكر ، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١ ص ٥٤ .

ومهما كان أمر ذلك الاختلاف التصورى للإنسان فان هذه الاتجاهات يمكن أن تمثل أساسا يتسنى أن نحدد فى ضوئه التصورات السسيولوجية الشائعة عن الإنسان . ويقوم التصور السسيولوجى الشائع من خلال النظرة إلى الإنسان بوصفه مخلوقا يخضع لعملية التنشئة الاجتماعية التى تتحول بمقتضاها غرائزه الحيوانية لتتطابق مع طبيعة الحياة فى مجتمع إنسانى .

ومن الجلى أن هذا التصور يقوم على ثلاثة أبعاد أساسية : —

البعد الأول : ويتعلق بالطبيعة الأساسية للإنسان ويميل علماء الإجتماع إلى وصف هذه الطبيعة بطريقة حيادية هى ليست خيرة تماما وليست شريرة تماما إنها تتضمن فى داخلها احتمالات التطور والنمو وأن هذه الاحتمالات تتوقف على طبيعة الفترة الزمنية ونوعية المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان .

البعد الثانى : ويتعلق بالتنشئة الإجتماعية للإنسان وبمقتضى التنشئة الاجتماعية يكتسب الفرد الثقافة ويستوعب قيم المجتمع وأهدافه — وهنا يؤكد التصور السسيولوجى على أن الطبيعة الداخلية للإنسان تتصف بطابع أخلاقى ، وأن الإنسان يميل بشكل أو بآخر إلى قبول متطلبات المجتمع ويسعى إلى تحقيقها .

البعد الثالث : ويتعلق بالطبيعة الخارجية للإنسان فالعلاقات التى يقيمها الإنسان مع الآخرين تعكس بوضوح ميله الإجتماعى ولو تأملنا شبكة العلاقات الاجتماعية التى يدخل فيها الإنسان لاحظنا أنه يستجيب للضغوط الخارجية التى تدفعه مرة أخرى إلى أن يتصرف ويسلك فى ضوء المعايير والقواعد السائدة فى المجتمع خلال فترة زمنية معينة .

من هذه الابعاد تنبثق أهم نتائج التصور السسيولوجى لدى علماء الاجتماع فى صورة اتجاه واضح مؤداه : أن تغيير الناس يجب أن يبدأ أولا

بتغيير الظروف الاجتماعية المحيطة بهم لا العكس (١) .

وإذا كان هذا الاتجاه يعكس جوهر الفكر الاجتماعى الاشتراكى على وجه الخصوص حيث الإنسان فى إطار هذا الفكر يمثل واقعا تاريخيا متحركا ومتطورا ومتبدلا وهو فى كل ذلك خاضع للمحتوى الاجتماعى التاريخى القائم فى فترة تاريخية ما (٢) ، فان النظرية فى علم الاجتماع الحضرى وبخاصة نظرية الحضريه كنمط للحياة Urbanism as away of life. عند لويس ويرث فضلا عن كونها تستند إلى ابعاد التصور السسيولوجى السابق للإنسان ، فانها ترسم منهجيه فى النظرة إلى الإنسان تدعو إلى فهم محتواه الاجتماعى وتغييره ليتمكن من أن ينفس عن نفسه تبعات التقليدية البالية (٣) .

وقد التزم لويس ويرث فى إطار بسطه لنظريته عن الحضرية من المنظور السسيولوجى بالاطر التكوينية فى النظرية السسيولوجية بصورة عامة وهذا ما اكسب نظريته قبولا وانتشارا فى ميدان الفكر والبحث الحضرى المعاصر وجعلها من ناحية أخرى نظرية قابلة للتبنى والتطبيق من ناحية أخرى وتتمثل هذه الأطر فى :—

١ — إمكان إخضاع الحقائق موضوع النظرية للملاحظة والتحقيق الامبريقى .

٢ — أن توضح ما هو نسبى وغير نسبى داخل النسق الفكرى فى بناء النظرية .

---

(١) اليكس انكلز — مقدمة فى علم الاجتماع ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة — ١٩٧٥ ، ص ١٠٠ — ١٠٣ .

(٢) سيب تيزينى — حول مشكلات الثورة والثقافة فى العالم الثالث — الوطن العربى نموذجا ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٣٧١ .

(٣) هربرت ماركوز — الإنسان ذو البعد الواحد — ترجمة جورج طرابيشى — دار الأداب بيروت — الطبعة الثالثة ١٩٧٣ .

٣ — إمكان الكشف أو التوصل إلى الترابط القائم بين الحقائق بعضها ببعض .

٤ — تحديد الانعكاسات التحليلية للحقائق والكشف عنها (١) .

أقام ويرث نظريته على أساس نقص المداخل السكانية والبيئية التى يعتبرها كثير من الباحثين الاطر الأساسية لقياس الحضرية ، ومن ثم كانت هذه الاطر تتعامل مع الإنسان بوصفه حجما ونشاطا ماديا بنيويا فحسب دون أن تضع فى اعتبارها محتواه الاجتماعى الذى يجسده التصور السيولوجى للإنسان والذى سبق عرضه . وتتلخص النظرية التى يقيمها لويس ويرث فى مجموعة القضايا التالية : —

أولا : أن الحضرية ليست مجرد حجم السكان أو كثافتهم أو الأنشطة المادية والتكنولوجية التى ينطبع بها المكان ، ذلك لأن الآثار التى تخلفها المدن على الحياة الاجتماعية للإنسان أكبر وأشد من الدرجة التى يمكن أن يخلقها حجم السكان أو كثافتهم .

ثانياً : أن المدن وهى بنت طبيعى لعمليات من النمو والتطور ، فان الآثار التى يمارسها فى طبع نمو حياة الإنسان لا يمكنها أن تمحو نهائيا نمط الحياة القديم الذى عرفته الترابطات البشرية .

ثالثاً : ترتيبا على ذلك فان حياتنا الاجتماعية رغم حضريتها ، ليست حضرية صرفه إذ هى لم تزل تحمل بصمات المجتمع التقليدى بدرجة من الدرجات

رابعاً : أن المدينة والقرية يعدان قطبان تتأرجح بينهما سائر المحلات

---

(١) J.E. Gold thorpe — An introduction to sociology, Campridge University Press Second Edition, 1974 PP 41-56

البشرية بدرجة أو بأخرى . ومن ثم فالحضرية الخالصة قول مبالغ فيه كما أن الريفية الخالصة يمكن أن تكون قولا مبالغا فيه كذلك .

خامساً : أن الحضرية لا تعبر عنها تلك الحركة السكانية المتمثلة فى عمليات النزوح البشرى من المناطق الريفية إلى المراكز الحضرية بفعل ما تتمتع به هذه المراكز من قدرة على الجذب والتأثير ، بقدر ما تتمثل فى القدرة على تشرب نمط الحياة القائم وتمثله فى الاتجاهات والسلوك والمواقف ، ويتوقف ذلك بالطبع على قدرة المهاجر على التكيف والامتصاص الحضارى .

سادسا : أن الحضرية هى طريقة أو أسلوب فى الحياة يعكسه واقع البناء والتنظيم الاجتماعى القائم .

سابعاً : يتولد هذا الضرب من البناء والتنظيم الاجتماعى الحضارى من الانعكاسات التداخلية لمتغيرات ثلاثة : هى حجم السكان ، درجة كثافتهم ، تجانسهم الاجتماعى والثقافى .

ثامناً : يتسم البناء والتنظيم الاجتماعى المتولد من انعكاسات هذه المتغيرات بعدد من السمات التى تميز نموذجه عن نموذج البناء والتنظيم الاجتماعى للمجتمعات التقليدية وأهم هذه السمات :

(أ) سيطرة العلاقات والاتصالات الثانوية وحلولها محل العلاقات والاتصالات الأولية .

(ب) فتور الروابط القرابية .

(ج) ضيق حجم الاسرة وتقلص كثير من الوظائف التى كانت تؤديها .

(د) ضعف علاقات الجوار وتحللها .

(هـ) ضمور الأساس التقليدى للتضامن الاجتماعى .

تاسعاً : أن رصد سمات الحضرية كنمط للحياة وما يمكن أن يترتب

عليها من نتائج فرعية يتعين تحقيقه فى ضوء الاطر التكوينية العام للنظرية السسيولوجية والبحث الامبريقى .

عاشرا : أن الحضرية كأسلوب مميز للحياة يمكن تناولها امبريقيا من منظورات ثلاثة متداخلة : —

(أ) كبناء فيزيقى يتضمن أبعاد سكانية وعمرانية وتكنولوجية .

(ب) كنسق من التنظيم الاجتماعى يتضمن بناء اجتماعيا مميزا وعددا من الانساق الاجتماعية ونمط معين من العلاقات الاجتماعية .

(ج) كمجموعة من الاتجاهات والأفكار تشترك فى خلق نمطية من السلوك الجمعى الخاضع لآليات خاصة من الضبط لااجتماعى (١) .

يتبين من محاور هذه النظرية أن المدخل للإنسان يجدر أن يكون مدخلا تشريحيا لنمط الحياة القائم داخل البناء الاجتماعى . وإذا كان مصطلح البناء الاجتماعى لم يحظ تعريفه حتى الآن بدرجة كبيرة من الدقة فى بعض الكتابات السسيولوجية فان ذلك لا يقعدنا عن أن نأخذ ولو بتعريف إجرائى له هو أن مفهوم البناء يشير إلى مجموعة من الجماعات والعمليات التى تترابط فيما بينها بفعل شبكة كاملة من العلاقات الاجتماعية (٢) .

ويعد مدخل العلاقات الاجتماعية ونمط الحياة فى دراسة البناء الاجتماعى من المداخل الأكثر ملاءمة من الوجهة المنهجية عند دراسة الإنسان العربى

---

(١) Louis Wirth "Urbanism As Away of Llife" Richard Sennett (edited) classic Essay or the Culture of Cities' Appleton Century — Crofts 1969 P.P. 143-160.

(٢) Harold E. Nottridge- the Sociology of urban Living, Routledge) Kegan paul Ltd London 1972 P.P. 40-42.

فى إطار أبنية مجتمعاته ، حيث لم تزل تسيطر عليه قيم وروابط العصبية القبلية فى الوقت الذى عرف فيه المراكز الحضرية منذ تاريخ يسبق معرفة الإنسان الأوربى لها ، وعاصر تبدلات وتحولات عديدة اسهمت فيها قوى عديدة بعضها كانت داخلية والأخرى كانت خارجة عن مجتمعاتها (١) .

واستنادا إلى هذا المدخل يمكن توكيد بعض الأبعاد المنهجية التالية : —

أولا : أن السلوك السوى وبناء البيئة الاجتماعية لا يعدان شيئين يستقل أحدهما عن الآخر ، بل ويعتبران مترابطين فالكائنات البشرية تحيا على شكل أجزاء من المنظمات الاجتماعية ويتكون نسق سلوكها بفعل الأدوار التى تقوم بها فى هذه وبفعل الضوابط التى ترتبط بتقاليد ثقافية راسخة ، ولهذا كان لابد لأى تفسير لقطاع معين من السلوك الإنسانى أن يأخذ بعين الاعتبار بناء الحالة التى يحدث فيها هذا السلوك والعمليات المختلفة التى تؤثر فيها فتبدلها وتغيرها (٢).

ثانياً : يتحقق التكيف للإنسان المتعرض للحضرية بأربعة أبعاد ، التكيف الفيزيقى ، التكيف الاقتصادى ، التكيف الاجتماعى ، التكيف الثقافى ، حيث يجد الإنسان نفسه واقعا تحت تأثير عدد كبير من الدوافع والقيم والايدلوجيات (٣) .

ثالثاً : أن الحضرية ليست هى التقدم الاقتصادى والتكنولوجى فحسب ، إنما هى وقبل ذلك تتجلى فى العلم الذى حقق هذا التقدم وفى

---

(١) Al Epstein — "Urbanization and Social change in Africa" In Encyclopaedia of Social Anthropology Vol. 8. NO4 1967 P. 275.

(٢) هيو . ج اتكن — دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ترجمة محمود زايد ، دار العلم للملايين — بيروت ١٩٦٣ ، ص ١٠٤ .

(٣) Janet Abu-Lughood- "Migrant-Adjustment of City Life. "The Egyptian Case" in the Ajs Vol Lxvii NOI 1961 P. 22.

الاتجاهات العلمانية ومناهضة التقليدية والارتباط وبالانفتاح والتحول الطبقى الاجتماعى (١) .

رابعاً : تنعكس المشكلات الناجمة عن الحضرية فى سلوك الإنسان وحياته وفى قدرته على الأداء الوظيفى والقيام بأدواره الاجتماعية على النحو المطلوب (٢) .

العنصر الثالث : الإنسان العربى — دراسة استطلاعية ميدانية : —

إذا كانت المنهجية العلمية يعدها العلماء ضربا من المسئولية التى تفرض ربط الذاتية بموضوعيات . فان هذه المسئولية تبدو أكثر إلحاحا عند دراسة الإنسان العربى . ولقد استشعر علماء الاجتماع العرب مسئوليتهم تلك حين حاولوا فهم التكوين الاجتماعى لهذا الإنسان وبناء القيم المشكلة لسلوكه ونمط حياته ، وكذا حين قرروا أن على علم الاجتماع فى العالم العربى أن ينهض بعبء مسئوليتين مزدوجتين فى آن واحد هما : —

المسئولية الأولى : إعادة بناء وصياغة المفاهيم الناشئة عن المعرفة السسيولوجية التى تهم المجتمعات العربية والتى اتسمت بتحيز عربى أو بأيديولوجية شعوبية .

المسئولية الثانية : نقص التراث الذى وضعته المجتمعات المختلفة عن المجتمعات العربية وتحليله ونقده (٣) .

وإذا كان هناك من خلاف حول تحديد المشخصات الاجتماعية الثقافية

(١) William- J- Goode- The Family — prentice- Hail of India Newdeihi, 1966 P.P. 101-105.

(٢) David M. Heer — Society and Population prentic Hall of India — Newdelhi 1969. P-21.

(٣) Abd El Kebir Khatibi — "Sociology of The Arab World' Paper NO. 1 Conference on the state of the social Sciences in the Middle East, Alexandria July 1-18-1974 P. 1.

للإنسان العربى فإن مرجعه هو التباين بين الباحثين من حيث سلم مفاضلتهم لبعض من المشخصات على الأخرى تحكمهم فى ذلك ميولهم واتجاهاتهم المسيطرة عليهم ، وعليه يمكن أن نحاول بدورنا الكشف على الطابع والنمط العام للشخصية الاجتماعية للانسان العربى .

وتحقيقا لهذا الهدف أجريت الدراسة الاستطلاعية الميدانية الحالية — على قطاع من الشباب المتعلم بجامعة محمد بن عبد الله بمدينة فاس — وفى هذا الصدد يتعين توضيح الخطوات المنهجية التى مرت بها هذه الدراسة الميدانية .

١ — هدف الدراسة وفروضها : —

يتبلور هدف الدراسة الميدانية الحالية — كما سبق أن أوضحنا — فى الوصول إلى : —

(أ) الكشف عن مدى ما يعكسه الإنسان المغربى — فى نطاق الشريحة التى أجريت عليها الدراسة — من سلوك معبر عن وضوح بعض المتغيرات الدالة على تواجد نمط فى الحياة يتسق مع طبيعة المرحلة التى يعايشها المجتمع المغربى وهى مرحلة التحول من نمط الحياة القائمة على التقليدية إلى نمط الحياة القائمة على التحديثية .

(ب) طرح تصور لمفهوم التحديث — يمكن وضعه محل الاهتمام — تبعا لما تسفر عنه النتائج التى سيفرزها البحث الميدانى ، وتبعا — أيضاً — للتصور النظرى الذى عرضت له الدراسة فى عنصريها الأول والثانى .

أما عن الفرضية التى يطرحها هذا البحث للاختبار الميدانى فقد صيغت على النحو التالى : —

« يمكن أن يظهر نمط حياة الإنسان فى المجتمع المغربى أنه مازال يكشف عن هامشية فى اتصاله بالمؤشرات التى يتضمنها مفهوم نمط الحياة الحضرية » .

٢ – مؤشرات نمط الحياة الحضرية (فى هذه الدراسة) : –

تركز الدراسة الحالية على مؤشرين عامين أساسيين مستنبطان من أغلب الدراسات المعاصره للتحضرية كنسق وأسلوب فى الحياة ، وكذا من الدراسات العديدة التى تناولت مؤشرات ظاهرة التحديث (١) فى ارتباطها بهدف إحداث التغيير الاجتماعى فى انساق البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ومن ثم ، وتحقيقا لدعوة التخصيص والتركيز فى العمل العلمى الاجتماعى على وجه الخصوص ، فقد تحددت هذه المؤشرات فى : –

(أ) مؤشر الحرص على الوقت والدقة فى التوقيت (٢) .

(ب) الموقف من بعض القيم الاجتماعية والحضارية .

وفيما يتصل بالمؤشر الأول ، فقد اقتصرت الدراسة الميدانية على متغيرات ثلاثة متصلة هى الاحتفاظ بمفكرة أى مدونة للمواعيد واستخدامها ،

---

(١) أنظر تفاصيل مفهوم التحديث الاجتماعى الذى طرحناه فى بحثنا الميدانى تحت عنوان « العلاقة بين المحددات الاجتماعية الموجهة للاختيار للزواج وبين ظاهرة التحديث الاجتماعى فى المجتمع المغربى : دراسة ميدانية على قطاع من الشباب المتعلم بمدينة فاس » .

(٢) يؤكد ريموند ملكا فى دراسته بعنوان : « الدقة فى التوقيت دراسة لسيكولوجية الرجل العصرى » ، أن الحرص على عدم تضييع الوقت – ليس وقفا على جماعة معينة أو أمة بذاتها – أنه يرتبط باتساع ما يمكن أن نطلق عليه اسم « الوسط التكنولوجى » ويمكن اعتباره أحد شروطه المحددة . ويؤكد ريموند « كذلك أن الميل نحو الدقة هو نتيجة التقاء رغبتين : الأولى : الرغبة فى تنسيقه وتنظيمه وانفاقه بطريقة عقلية وبذلك يتعين تنظيم الحياة نحو هدف معروف .

الثانية : الرغبة فى عدم تضييع الوقت باعتباره عنصرا له قيمته الثمينة فى أيامنا هذه .

ولقد أثبتت التجربة – يقرر « ريموند ملكا – أن الحرص على التصرف بسرعة هو الذى يدفع إلى الترشيد واخضاع الأمور للعقل . وأن التمسك بالدقة معناه التحكم فى الزمن ، وربطه بافعالنا واستخدامه فى أوجه نشاطنا والقضاء على سره .

– راجع تفصيل هذه الدراسة ترجمة الدكتور السيد محمد بدوى فى مجلة ديوجين ، العدد العاشر ، نوفمبر ١٩٦٩ – إصدار الشعبة القومية لليونسكو – مركز تبادل القيم الثقافية بالقاهرة صفحات ١ – ٣٣ .

احترام المواعيد المضروبة مع الآخرين ، ثم مدى إحساسه بايقاع الزمن أى انقضاء الوقت .

اما عن المؤشر الثانى ، فقد اقتصرت الدراسة كذلك على متغيرات ثلاثة فرعية متصلة هى مكانة بعض المؤشرات الدالة على احترام الآخرين للإنسان وقد تركزت حول مزاولة الصلاة ، وانجاز الأشياء بسرعة وفى مواعيدها ، واحترام العادات والتقاليد ثم الحرية فى الاختيار للزواج . أما المتغير الفرعى الثانى فقد تناول مؤشر زيارة المتاحف والمناطق الأثرية وما ينطوى عليه ذلك من مفاهيم حضارية . أما المتغير الفرعى الثالث فقد تناول مدى الانجذاب نحو الماضى والحاضر ، لما فى ذلك أيضاً من مضمون للتحديث حيث الارتباط بالمستقبل وأهدافه التقدمية .

٣ — أداة البحث ومجتمع الدراسة : —

وقد أخذت الدراسة الميدانية بأسلوب المقابلة المقننة عن طريق استخدام صحيفة للبحث باعتبارها من أنسب الأدوات وأدقها وبخاصة فيما يتصل بالدراسات الاجتماعية التى تجرى فى نطاق المجتمعات التى لا توفر للباحث مصادر دقيقة إحصائية مثلا يمكن الاعتماد عليها أو الوصول إليها بسهولة . ومن ثم فقد شملت الصحيفة المؤشرين السابقين بمتغيراتهما الستة التى أشرنا إليها . ويمكن القول إن الأسئلة الثلاثة الأولى تعالج المؤشر الأول بحيث اختص كل سؤال منها بمتغير من المتغيرات الثلاثة الفرعية المتصلة بهذا المؤشر . وكذلك الحال بالنسبة للمؤشر الثانى فقد اختصت به الأسئلة من ٤ — ٦ من الصحيفة الواردة فى ملحق الدراسة .

ولقد روعى عند وضع هذه الصحيفة أن تكون محدودة الأسئلة ومركزة بحيث تتفادى ذلك الاتجاه الذى يميل إلى الأخذ بالصحائف المطولة . وإن كان هناك تبرير لصحيفة البحث فى هذه الدراسة فهو ينحصر فى محاولة

تحقيق مزيد من الدقة والوضوح يتفادى التسطيح والتعميم الشديد ، الأمر الذى تفيد منه الدراسة ويخدم الاتجاه الذى يناصره التشريح الدقيق فى عمليات الدراسات الميدانية ، كما يفيد القارىء حيث يتركز ذهنه مباشرة على قضايا مركزة واضحة .

وتحقيقا لذلك فقد روعى فى صياغة الأسئلة البساطة الكاملة وارتباط كل سؤال بوضوح وبمباشرة بالهدف الذى يدور حوله . كما روعى فيها أيضاً أن تكون مغلقة جميعها ولم يتم ذلك إلا بعد تجارب استطلاعية عديدة أجريت على صياغات الأسئلة فيها بحيث أمكن الوصول إلى الصياغة النهائية على النحو الواضح فى الصحيفة الواردة فى الملحق والتى جرى بها جمع المادة من الميدان .

أما عن مجتمع الدراسة وهو طلبة وطالبات كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بمدينة فاس فقد تم تحديده تبعا للاعتبارات التالية : —

١ — تمثيل طلبة وطالبات كلية الآداب لأغلب الشرائح الاجتماعية الممثلة للمجتمع المغربى تقريبا

٢ — أن اختيار قطاع الطلبة دون غيرهم هدفه هو رصد قضية نمط الحياة الحضرية فى إطار قطاع من المسلم به — بوجه عام — أن هذا القطاع من شأنه أن يعبر أكثر من غيره عن وضوح نمط الحياة الحضرية بشكل أكبر من وضوحه لدى أى قطاع آخر وبخاصة من غير المتعلمين .

٣ — معايشة الباحث لمجتمع الدراسة واستيعابه لكثير من المتغيرات السائدة فى نطاقه بحيث يتسنى فهمه بدقة ، كما أن ذلك يمكن من الوصول لأفراد البحث بسهوله ويضمن للبحث أرضية التعاون والتفهم الذى يسهل عمليات إجراء المقابلات وجمع البيانات .

ولقد تم تحديد عينة الدراسة فى مائتى طالب وطالبة اختيرت بشكل عشوائى منظم من السلك الثانى بالكلية الذى يشتمل على طلبة السنة الثالثة والرابعة فقط . وقد كان الدافع من وراء هذا التحديد ضمان قدر من الفهم والوعى الجدى بأهداف البحث ، فضلا عن أن طلاب هذا المسلك قد عايشوا الحياة الجامعية وحياة المدينة .

وحتى بالنسبة للذين وفدوا من خارج مدينة فاس من القرى المحيطة بهم ، فان معظمهم قد تلقوا تعليمهم الابتدائى والثانوى بمـــدن نظرا لعدم توفر القرى ، فى الغالب ، على مدارس ثانوية خصوصا .

ولقد روعى فى تحديد حجم العينة لقطاع طلاب السلك الثانى أن يكون ممثلا له تمثيلا دقيقا . ومن ثم فقد جاءت حجم العينة بنسبة ٢٥ ٪ من مجموع طلبة وطالبات السلك الثانى لكلية الآداب .

٤ — ديناميات العمل الميدانى وعرض البيانات :

مر العمل الميدانى بمراحل عديدة أهمها :

١ — اعلام طلاب السلك الثانى عن طريق اعلان عام بالكلية بموضوع البحث وبموعد تواجد الباحث فى مكتبه بالكلية لإجراء المقابلات مع من يريد منهم ، ضمانا لعنصر التلقائية والطوعية من جانب المبحوث .

٢ — قسمت عملية جمع البيانات على عشرين يوما بحيث يتسنى جمع بيانات من عشرة مبحوثين فقط ، ضمانا لعدم تسرب الملل للباحث ومن ثم يؤثر على سير عملية جمع البيانات .

٣ — تم الحصول على موافقة إدارة الكلية لإجراء المقابلات وجمع البيانات من الطلاب بعد اعلامهم بهدف البحث ومتغيراته التى يتناولها .

٤ — جرى جمع البيانات من خلال العينة التى تحدد حجمها بمائتين خلال

خمس وعشرين يوما نظراً لتخلل هذه المرحلة بعض العطلات التى حالت دون انجاز الدراسة فى موعد أقل من الموعد الذى ضرب لإنجاز البحث . ونظرا للتعاون الشديد من جانب طلاب العينة والاتصال الشخصى بين الباحث والمبحوثين .

٥ ــ تمت عملية جمع البيانات من أفراد العينة عن طريق الباحث نفسه ولم يستعن فيها بأى من المساعدين ، ومن ثم توفرت مسألة الاستيفاء الكامل لعناصر الصحيفة كلها فضلا عن ضمان وصول مضمونات الأسئلة من خلال اللقاء الشخصى بنفس المعان وبدرجة موحدة مع جميع المبحوثين .

٦ ــ بعد جمع البيانات جرى تفريغ صحائف البحث بمعرفة الباحث نفسه وبشكل يدوى . وقد روعى أن تكون الجداول التى عرضت فيها البيانات بسيطة تسهيلا لاستيعاب مضمونها بشكل مباشر .

٥ ــ تفسير البيانات :ــ

وزع تفسير البيانات فى هذه الدراسة تبعا لمدى وضوح مدى اثباتها لصدق الغرض الأساسى الذى قامت لاختباره . ومن ثم كشفت عملية التحليل عن وجود بيانات ذات صدق عال وأخرى ذات صدق بسيط . وفيما يلى طرح تفسير البيانات على النحو المذكور .

أولا : تفسير البيانات ذات الصدق العالى :ــ

يتجلى الصدق العالى والذى يؤكد صدق الفرضية التى قامت عليها هذه الدراسة فى عدد من المؤشرات وأهمها مؤشر الوقت ومعايشة الزمن الاجتماعى ، ثم مؤشر الدقة فى التوقيت ؛ ففيما يتصل بالمؤشر الأول الخاص بالوقت وتجسيده الدراسة الميدانية فى بعد الاحتفاظ أو الاهتمام بالاحتفاظ بمفكرة يومية

أو بمعنى أدق جدول ينظم فيه الإنسان مواعيده ومقابلاته وخطة سيره اليومى حيث قد تبين بالنسبة لهذا المؤشر أن ٨٠ ٪ من أفراد عينة مجتمع الدراسة هم الذين لا يكترثون بمثل هذه القيمة الاجتماعية فى حياتهم اليومية . ومن الجلى أن هذه النسبة لا تحتاج إلى مزيد من التفسير أو التعليق نظرا لبروزها الكمى ، كذلك الحال فيما يتصل بمؤشر احترام المواعيد حيث أن ٤٤ ٪ لا يكترثون بدورهم بقيمة الدقة فى التوقيت ومن ثم يفقد الزمن الاجتماعى لديهم اعتباره وأهميته . ويتأكد مؤشر الصدق العالى بوضوح من المتغير الخاص بزيارة المتاحف والمناطق الأثرية وهى قيمة تعكس ضربا من الوعى الاجتماعى الحضارى بدورها إذ تبين أن ٢٠,٥ ٪ من مجموع أفراد العينة لم يقوموا إطلاقا بزيارة أى منطقة أثرية أو متحف من المتاحف . ويبلغ هذا المؤشر ذروته إذا ما اضيف إليه نسبة من زاروا هذه المناطق منذ أكثر من سنة وهى تبلغ ١٥ ٪ ، ذلك لأن الفاصل الزمنى العريض من ناحية وعدم الاحتكاك النهائى من ناحية أخرى يشكلان ضربا من ضروب اللاحضرية من خلال منظورها الثقافى السلوكى ، وهو المنظور الذى تؤكد عليه نظرية الحضريه عند لويس ويرث (أنظر جدول رقم ٥ للدراسة) .

ويتأكد بعد التقليدية — كذلك — فى نسق الحياة ونمطه من المؤشر الخاص بمدى الاهتمام بالتعرف أو الارتباط بالماضى أو الحاضر إذ تبين النتائج تقاربا نسبيا بين الاطارين . ومما لا جدال فيه أن هذا التقارب النسبى إنما يشير إلى الاختلاط والتداخل فى نمط الحياة وهو ما يصنع الهامشية المؤدية إلى ما يطلق عليه بحالات الاغتراب والابهام . حيث يعجز الفرد عن أن يحدد لنفسه ذاتية متميزة وسط هذا العالم من التضارب والاختلاط . وإذا كانت هذه السمة يراها البعض من السمات المميزة لمراحل التحول والانتقال فى التاريخ الحضارى للشعوب أى أنها سمة عادية مصاحبة ، فانه يجب ألا ينظر إليها من هذا المنظار حتى لا تبدو ، مع تكرار تصورها ذلك ، مظهرا طبيعيا فى حياة هذه الشعوب (أنظر الجدول السادس) .

وإذا كانت الصلاة كقيمة دينية تفرض الاحترام لممارسيها تأتى المركز الرابع من حيث سلم التقدير والاحترام حيث نسبتها ٥٠,٥ ٪ ، وأن من وضعها فى المقام الأول لا تتعدى نسبتهم ١٨,٥ ٪ فقط فان ذلك وإن سار مع الافتراض العام بالربط بين الحضرية والاتجاه الدينوى ، يؤكد ما يمكن أن نطلق عليه « المسخ الحضرى » وهى الحالة التى يبتعد فيها الإنسان عن قيمه الأصلية وتختلط عليه قيم الأشياء الحقة فيرتبط بغيرها التى ليست من طبيعته . وهذه الحالة — فى تقديرى — من أخطر الحالات التى يتعرض لها النسق البنائى للمجتمعات العربية حيث يسعى « للتغريب » أكثر مما يسعى إلى البحث عن التجديد ذاته البشرية المتطورة أو تجديدها .

ولعل ما يبرز خطورة وضع الصلاة فى المركز الرابع من حيث قيم الاحترام والتقدير أن يجىء مؤشر العادات والتقاليد بنسبة ٣٢ ٪ فقط : والأمر شتان بين العادات والتقاليد البالية المتعلقة بالحجاب والسحر وزيادة الأضرحة والقبور وتفضيل الذكر على الأنثى والتواكل والسلبية والبيروقراطية والمظهرية والحسب والنسب إلى آخر ذلك من أمور وبين الصلاة كعبادة ورمز من رموز الولاء والطاعة للخالق العظيم . ذلك لأن الحضرية فى البلدان الغربية لم تعن الانفصال عن الدين بل إن الكنيسة لتحترم التردد على تأدية الطقوس الدينية يزاوله بانتظام الشباب والرجال والشيوخ على حد سواء ويندر أن توجد كنيسة خالية من الرواد المتعبدين فى أى وقت من أوقات اليوم . وعليه فان وضع الصلاة كمؤشر للاحترام فى المركز الرابع بنسبة ٥٠,٥ ٪ بين قيم الشباب فى المجتمعات العربية لابد وأن له دالة هامة ترتبط بأسباب عديدة من الضرورى كشفها والبحث عنها داخل الهيكل الاجتماعى الكلى .

(أنظر الجدول الرابع) ..

ثانياً : تفسير البيانات ذات الصدق البسيط :-

توضح الجداول رقم ٢ ، ٣ مؤشرات الصدق البسيط . كما يتجلى ذلك أيضاً فى مؤشرى انجاز الأشياء بسرعة واعطاء الحرية فى الاختيار للزواج التى يتضمنها الجدول الرابع . فالجدول الثانى يوضح أن هناك درجة من التقارب النسبى بين نسبة من يحرصون على لقاء الأفراد فى المواعيد المضروبة بينهم ومن لا يحرصون أو لا يكترثون بذلك ٥٥,٥ ٪ ؛ ٤٤,٥ ٪ . ورغم هذا التقارب فان الزيادة بين النسبتين أو حتى وقوفهما عند مستوى التعادل يعنى أن الحضرية كنسق من الحياة لم يزل فى طور الخروج من حالة الالتباس والاختلاط بقيم ومفاهيم مرحلة ما قبل الحضرية الكاملة أو شبه الحضرية الكاملة . ومعنى ذلك أن حالة شبه الحضرية الكاملة لم تنضج بعد (أنظر الجدول الثانى) .

ويؤكد الجدول الثالث ما يمكن أن نسميه بديناميكية الحياة وهى الديناميكية التى يعايشها إنسان المدنية ويشعر بها نظرا لكثرة مشاغله وحدة إلحاح مطالبها عليه ، الأمر الذى يجعله فى دوامة متصلة من الانشغال والتفكير التى تساعد عليها كثرة روابطه وعلاقاته المتشعبة وازدياد اهتماماته واتساع نطاق تطلعاته . وتبلغ درجة التباين فى هذا الجدول على نحو بارز حيث تصل ٧٥ ٪ من مجموع أفراد العينة يعايشون هذه الديناميكية و ٢٥ ٪ فقط يقررون استاتيكيتها .

أما فيما يتصل بقيم السرعة فى إنجاز الأشياء وإتاحة الحرية فى الاختيار للزواج كمتغيرين حضريين يرتبطان ارتباطا عضويا بنسق الحياة الحضرى فقد برزا فى المركز الأول (انجاز الأشياء ٤٣ ٪) والمركز الثانى (الاختيار للزواج ٣٦,٥ ٪) . ومهما يكن من أمر هذه النسب لكل من هذين المؤشرين فانهما يشيران إلى ارتباط نمط الحياة ببعض متغيرات الحضرية . (أنظر الجدول رقم ٤) ..

العنصر الرابع : رؤية مطروحة : —

يعكس الإنسان فى المجتمعات العربية كما أوضحت نتائج الدراسة فى تقديرى قضية ومشكلة . تتعلق القضية بمسألة التنمية ، أما المشكلة فهى ترتبط بالفلسفة والمدخل لهذه القضية . وإذا كان لنا أن نقول شيئا عن هذين البعدين للإنسان فى المجتمعات العربية فينبغى ألا يتم ذلك فى غيبة من تأصيل الجوهر ذلك الإنسان إذ هذه عقبة منهجية هامة ، ويؤكد جورج ساتو ذلك بقوله : « إنبوسع المؤرخ أن يتحدث عن معجزة الثقافة العربية كما يتحدث عن معجزة الثقافة اليونانية متصورا معنى واحداً للمعجزة فى الحالتين . إن الأشياء التى حدثت كانت خارقة إلى درجة تجعل وصفها وصفا عقلانيا متعذرا » (١) .

وعليه فان قضية التنمية تعد بالنسبة للإنسان فى المجتمعات العربية مطلبا أخلاقيا اجتماعيا اقتصاديا إذ هى أداة يمكن من خلالها للإنسان أن يواجه عوامل تخلفها . وإذا كان مفهوم التنمية قد فرضه التفاوت الاقتصادى والاجتماعى الشديد الذى يشهده العالم المعاصر بين دول حققت قدرا ملحوظا من التقدم الاقتصادى والتغير الثقافى ، وأخرى لاتزال تبحث عن ذاتيتها ومكانها فى هذا العالم ، فقد بذلت محاولات عديدة لتحديد أبعاده وإن كانت هذه المحاولات قد ذهبت إلى أنه الاستغلال الرشيد للموارد بهدف إقامة مجتمع حديث (٢) ومن ثم يتضمن مفهوم التنمية تحقيق الحضرية المتمثلة فى تطبيق التكنولوجيا والتساند الاجتماعى الواسع النطاق والتعليم والحراك الاجتماعى فضلا عن التوحدات مع الكيان القومى للدولة .

---

(١) حسن صعب ، الإنسان العربى وتحدى الثورة العلمية التكنولوجية — دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٣ .

(٢) محمد الجوهرى وآخرون ، دراسات فى التنمية الاجتماعية ، دارالمعارف القاهرة الطبعة الثانية ، صفحات ١٣ — ١٤ .

فى ضوء هذا التصور لمفهوم التنمية كسياسية وعملية تقوم بالإنسان وللإنسان تنبثق أهميته بالنسبة للإنسان فى المجتمعات العربية كمفهوم يقوم على اعتبار أن التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية وجهان متصلان متفاعلان لأمر واحد هو تحقيق التقدم . ومن ثم كان الفصل بين المتطور الاقتصادى والمتطور الاجتماعى فى هذه العملية من المسائل التى تتعارض مع المنهجية العلمية التكاملية من ناحية ، كما لا يحتملها الواقع القائم فى المجتمعات العربية من ناحية أخرى (١) .

ووفقاً لذلك تأتى فلسفة التنمية بالنسبة للإنسان العربى متبلورة فى العودة بالإنماء حيث يجب أن يبدأ الإنسان . وهى انطلاق بالإنماء إلى حيث يجب أن ينتهى الإنسان ، وإذا كانت قيمة هذه العودة تستثير حماس الإنسانيين فان الجديد فيها هو أنها تعلمه أنه لا جدوى من الرأسمال أو الصناعة أو التكنولوجيا ما لم يتوفر الرأسمال الأول وهو الإنسان القادر على الافادة منها (٢) .

ومن الجلى أن الطريق الأول لانماء الإنسان هو تنشئته الاجتماعية أو تربيته وأيا كان ما يمكن أن يشير إليه هذا المفهوم فهو يحمل فى المحل الأول فكرة التغيير القيمى أى التغيير الاجتماعى والثقافى باعتباره الأرضية الأساسية لأى انطلاقة تنموية اقتصادية اجتماعية . وقد اوضح العلماء دور التغيير القيمى فى التقدم الانمائى إذ يرون أنه يعد الآن الموضوع المفضل لدى الباحثين فى الانماء من آدم سميث إلى كارل ماركس إلى مردال ، وهم الباحثون الذين حملتهم نزعتهم الإنسانية على تجاوز البحث فى قوانين النمو الاقتصادى إلى البحث فى قوانين النمو الإنسانى وعليه فان تحقيق التقدم فى الدول النامية ينبغى أن يهز نفس الإنسان بداخلها هز كليا (٣) .

---

(١) ر . ك . ويلى المجتمع العربى فى مرحلة التغيير . تقديم وتعريب أحمد عبد العزيز النجار ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ ، ص ٣ .
(٢) حسن حمدى — مرجع سابق ، ص ١٢١ .
(٣) حسن حمدى — مرجع سابق ، ص ١٢١ .

ومن ثم كانت التنشئة الاجتماعية الحضرية أو التربية هى أقوى العوامل المؤدية إلى الرقى البشرى وأشدها أثرا . ولئن كانت الوسائل السياسية والاقتصادية أدوات حقيقية للتقدم فلا مفر من العودة إلى الحقيقة الإنسانية الباقية على مر الزمان وهى أن الإنسان بامكاناته وحدوده هو مصدر كل تقدم فلابد إذن من معالجة العلة فى صميمها وذلك بترقية الإنسان عقلا وعاطفة وروحا . فكلما ارتقى الإنسان فى سلم الحضارة ازدادت حاجته إلى التربية وخرجت هذه الحاجة عن حد الكماليات إلى حد الضروريات (١) .

يتبلور مما تقدم أهمية الكشف عن بناء نمط الحياة الاجتماعية الثقافية للإنسان العربى بكل ما يستند إليه من قيم اجتماعية وثقافية ، وما يكشف به عن ذاته من نماذج للفعل والتصور والسلوك طالما كان الهدف هو الانتقال من النمط التقليدى فى الحياة إلى نمط المجتمع الدينامى الذى تعد الحضرية طابعه الأساسى ، أى بمعنى أدق الانتقال إلى حالة التحديث التى تختلف فى مضمونها عن فكرة التقدم التى سادت القرن التاسع عشر (٢) .

وقد قدم دانيال لرنر دراسته عن تحديث الشرق الأوسط تشخيصا لمؤشرات التحديث لم تزل تلقى قبولا كبيرا . وفى هذا الصدد يقول :

« يبدو أن هناك اتفاقا كبيرا على أن من بين الخصائص البارزة للتحديث :

١ ــ وضوح درجة من الاكتفاء الذاتى فى عملية النمو الاقتصادى أى درجة من التوازن بين الانتاج والاستهلاك على أقل تقدير .

٢ ـ وضوح درجة من الإسهام الجمعى فى المسائل السياسية أى درجة من التمثيل الديمقراطى فى عملية تعريف واختيار البدائل السياسية .

---

(١) جورج شهلا ، عبد السميع جريل ــ الوعى التربوى ومستقبل البلاد العربية ،

(٢) جورج شهلا ، عبد السميع جريل ــ الوعى التربوى ومستقبل البلاد العربية ، مكتبة رأس بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٢ ، صفحات ٤ ، ١٥ .

٣ — انتشار العلمانية والمعايير العقلية فى الثقافة .

٤ — وضوح الحراك فى المجتمع على أساس أنه حرية فيزيقية وإجتماعية شخصية.

٥ — تحول مصاحب لكل ذلك فى نموذج الشخصية بحيث يجعل الأفراد يعملون على نحو فعال فى إطار النسق الاجتماعى ، أى قيام شخصية محورها الكفاح من أجل تحقيق الحاجات الذاتية وتحقيق حاجات الآخرين واستشعار التعاطف والتشارك (١) .

ومن الجلى أن هذه المشخصات تجسد فى مجموعها بناء الحضرية المتكاملة وهى التى دعى لويس ويرث كما قدمنا إلى أهمية أخذها كمدخل للتعرف على الإنسان وتحديد درجة أو مدى قربه منها وبعده عن التقليدية .

وغنى عن البيان أن تحقيق التنمية كعملية للانماء الحضرى مستندة إلى فلسفة للإنسان فى المجتمعات العربية تتطلب أن نقف على أهم مشخصاته التى قد تقف عقبة أو مشكلة أمام التنمية من ناحية ، بل والتى يتعين كشفها لتأتى خطط التنمية ووجهاتها وأدواتها مهيأة للتعامل معها بالإزاحة والتخفيف من درجة بروزها أو سيطرتها .

خاتمة

من مجموع نتائج هذه الدراسة ، ودون الخوض فى جزئياتها ، يمكن تقرير — بصورة عامة — أن التناقص والهامشية لا زالتا من العلاقات التى تطبع الإنسان . ولا غرو أن ذلك يؤكد على أهمية إنماء الإنسان وهو وسيلة التقدم فى مجتمعاتنا . ومما لا جدال فيه أن تحقيق التقدم لا يستقيم مع تناقص وهامشية نمط حياة الإنسان فى مجتمعاتنا العربية ، وهى مسائل لها انعكاساتها ومدلولاتها الخطيرة فى البناء الاجتماعى .

---

(١) GuyE — Swansin — Socialchange — Scott Fores man and Co., Glenview, ill inas 1971 P.P. 141 — 142.

والتنمية كمدخل لابدال المحتوى الاجتماعى والثقافى للإنسان لابد لها أن ترتبط بفلسفة الانماء الحضرى الذى يقوم على ترشيد القيم والسلوك والفعل ونقله عن طريق التنشئة الاجتماعية من مرحلة التقليدية إلى مرحلة الحضرية أو التحديثية وهما لفظتان مترادفتان فى واقع الأمر . وما يمكن طرحه من تساؤل يمليه هذا الموقف هو : لم لا يكون الإنماء الحضرى الذى يقوم على نقل نمط الحياة من التقليدية إلى الحضرية التحديثية للإنسان فى المجتمع العربى ، وذلك فى ضوء الرؤية السيولوجية الحضرية التكاملية هو المدخل والطريق لكل محاولة وجهد لتحقيق التنمية الاقتصادية الاجتماعية فى إطاراتها العريضة أو الضيقة إذا كانت هى قنطرة التقدم الحقيقية ؟ ..

* * *

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE FOR ARAB RESEARCH AND STUDIES

ملاحق البحث

الملحق الأول

صحيفة البحث

١ – هل تحتفظ – فى الغالب – بمفكرة تدون فيها مواعيد لقاءاتك ومقابلاتك مع الآخرين ؟ نعم ( ) لا ( )

٢ – هل تسوى بين الأفراد من حيث الحرص على لقياهم فى المواعيد التى تضربها معهم ؟

كثيرا ( ) أحيانا ( ) نادرا ( )

٣ – هل ترى أن يومك ينقضى بسرعة – فى الغالب – دون أن تشعر به ؟

نعم ( ) لا ( )

٤ – أعد ترتيب المسائل التالية من حيث مدى ما يضفيه الالتزام بها من احترام للآخرين :–

(أ) أداء فرائض الصلاة .
(ب) السرعة فى انجاز الأشياء .
(ج) احترام العادات والتقاليد .
(د) تحقيق الحرية فى الاختيار للزواج .

٥ – إذا كنت قد قمت بزيارة لاحد المتاحف أو المناطق الأثرية فى بلدك . فمنذ متى قمت بآخر زيارة لها ؟

لم أقم أبدا ( ) .
أقل من شهر ( ) – شهر ( ) – ستة أشهر ( ) عام ( )
أكثر من عام ( ) .

٦ – إذا عرض عليك كتابان أحدهما يتناول مجتمع الأمس والآخر يتناول مجتمع اليوم لتطالع أحدهما فقط ، فما الذى تبدأ به ؟

الكتاب الأول ( ) .
الكتاب الثانى ( ) .

الملحق الثانى

ثبت بجداول الدراسة

الجدول الأول – الاحتفاظ بمفكرة :–

البيان	العدد	٪
يحتفظ	٤٠	٪٢٠
لا يحتفظ	١٦٠	٪٨٠
المجموع	٢٠٠	٪١٠٠

الجدول الثانى – احترام المواعيد

البيان	العدد	٪
يحترم	١١١	٪ ٥٥,٥
لا يحترم	٨٩	٪ ٤٤,٥
المجموع	٢٠٠	٪ ١٠٠

الجدول الثالث – انقضاء الوقت :–

البيان	العدد	٪
بسرعة	١٥٠	٪ ٧٥
ببطء	٥٠	٪ ٢٥
المجموع	٢٠٠	٪ ١٠٠

الجدول الرابع — مكانة متغيرات الاحترام : —

البيان	المكانة							
	الأولى ٪		الثانية ٪		الثالثة ٪		الرابعة ٪	
الصلاة	٣٧	١٨,٥	٢٤	١٢	٣٨	١٩	٠١	٥٠,٥
انجاز الأشياء	٨٦	٤٣	٥٣	٢٦,٥	٣٢	١٦	٢٩	١٤,٥
العادات والتقاليد	٢٠	١٠	٣٠	١٥	٨٦	٤٣	٦٤	٣٢
الاختيار للزواج	٥٣	٢٦,٥	٧٣	٣٦,٥	٥٠	٢٥	٢٤	١٢

الجدول الخامس — زيارة المتاحف والمناطق الاثرية :

البيان	العدد	٪
أقل من شهر	٣٠	١٥
شهر	٢٥	١٢,٥
ستة أشهر	٥٥	٢٧,٥
سنه	١٩	٩,٥
أكثر من سنة	٣٠	١٥
لم يقم أبدا	٤١	٢٠,٥
المجموع	٢٠٠	١٠٠

الجدول السادس — الاهتمام بالوقوف على الماضى أو الحاضر :

البيان	العدد	٪
الماضى	٩١	٤٥,٥
الحاضر	١٠٩	٥٤,٥
المجموع	٢٠٠	١٠٠

الملحق الثالث

ثبت بأهم المراجع

المراجع العربية :

١ – الياس انكلز – مقدمة فى علم الاجتماع – ترجمة محمد الجوهرى وآخرين – دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ .

٢ – جوردن تشايلد – ماذا حدث فى التاريخ – ترجمة جورج حداد ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦ .

٣ – جون نيف – الأسس الثقافية للحضارة الصناعية – ترجمة محمود زايد دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ .

٤ – جورج شهلا ، عبد السميع جربلى – الوعى التربوى ومستقبل البلاد العربية ، مكتبة رأس بيروت ، بيروت ١٩٦٢ .

٥ – حسن صعب – الإنسان العربى وتحدى الثورة العلمية التكنولوجية ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ .

٦ – ر. ك. ريدى – المجتمع العربى فى مرحلة التغير ، تقديم وتعريب أحمد عبد العزيز النجار ، دار الفكر القاهرة ١٩٧٠ .

٧ – زكريا إبراهيم – مشكلات فلسفية – مشكلة الحياة ، مكتبة مصر القاهرة ١٩٧١ .

٨ – زكريا إبراهيم – مشكلة الإنسان ، مكتبة مصر القاهرة ، غير مبين سنة الطبع .

٩ – طيب تيزينى – حول مشكلات الثورة والثقافة فى العالم الثالث – الوطن العربى نموذجا ، دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٧٣ .

١٠ – عبد الكريم غلاب – نبضات فكر – مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٦١ .

١١ – عز الدين إسماعيل – الفن والإنسان ، دار القلم ، بيروت ١٩٧٤ .

١٢ ــ محمد الجوهرى وآخرون ــ دراسات فى التنمية الاجتماعية . دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ .
١٣ ــ محمود رياض ــ الإنسان دراسة فى النوع والحضارة ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢ .
١٤ ــ ملحم قربان ــ المنهجية والسياسة ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٣ .
١٥ ــ هنرى لوفيفر ــ ماركس وعلم الاجتماع ــ ترجمة بدر الدين قاسم الرفاعى ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧١ .
١٦ ــ هربرت ماركوز ــ الإنسان ذو البعد الواحد ــ ترجمة جورج طرابيشى ، دار الاداب ، بيروت ١٩٧٣ .
١٧ ــ هيو . ج. اتكن ــ دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ــ ترجمة محمود زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٣ .
١٨ ــ ولاس بروكوى ــ عندما دخلوا التاريخ (مترجم) دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ .

المراجع الافرنجية : —

19. Abdelkebir Khalibi — "Sociology of the Arab World" Paper NO. 1, Conference on the state of the Social Sciences in the Middle East, Alexandria July 1-10, 1974.

20. A.L. Epstein — "Ubanization and Social change in Africa "In Encyclopaedia of Social an thropology. Vol. 8 NO. 4 1967.

21. David M. Heer — Society and Population, Prentice Hall of India, Private Limited New Delhi 1969.

22. Guy E. Swanson — Social change, Scott Foresman and CO., Glenview, Illinois 1971.

23. Harold E. Nottridge — The Sociology of Urban Living, Routledge & Kegan Paul Ltd. London 1972.

24 Janet Abu — Lughood — "Migrant Adjustment of City life : The Egyptian Case". In The AJS. Vol. LXVII NO. 1 1961,

25 J.E. Goldthorpe — An Introduction to Sociology, Campridge University Press Second edition 1974.

26. Louis Wirth — "Urbanism As Away of Life" In Richard Sennett (editor) — Classic Essay on the Culture of Cities. Appleton Century — Crofts 1969.

27. Karen Kay Petersen — "Villagers in Cairo : Hypothesis Versus Data" In AJS Vol. 77 N. 3 1969.

28. P.F. Lazarsfeld — Main Trends in Sociology, London, George Allen & Unwin Ltd. 1973.

29. Talcott Parsons — Societies : Evolutionary and comparative Prespectives, Prentice — Hall Inc., Englewood cliffs New Jersey 1966.

30. William. J. Goode — The Family, Prentice Hall of India New Delhi 1965.